

١١- من قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤))) الى قوله تعالى ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)))

المناسبة: لما ذكر تعالى قبائح اليهود، وما اختصوا به من ضروب السحر والشعوذة، أعقبه ببيان نوع آخر من السوء والشر، الذي يضمرونه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، من الطعن والحقد والحسد، وتمني زوال النعمة عن المؤمنين، واتخاذهم الشريعة الغراء هدفاً للطعن والتجريح بسبب النسخ لبعض الأحكام الشرعية.

اللغة: {رَاعِنَا} من المراعاة وهي الإنظار والإمهال، وأصلها من الرعاية وهي النظر في مصالح الإنسان، وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة مشتقة من الرعونة وهي الحُمق ولذلك نهي عنها المؤمنون {انظُرنا} من النظر والانتظار تقول: نظرتُ الرجل إذا انتظرتَه وارتقبتَه أي انتظرنا وتأنَّ بنا {يَوَدُّ} يتمنى ويحب {نَنسَخُ} النسخ في اللغة: الإبطال والإزالة يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته وفي الشرع: رفع حكم شرعي وتبديله بحكم آخر {نُنْسِيهَا} من أنسى الشيء جعله منسياً فهو من النسيان الذي هو ضد الذكر أي نمحها من القلوب {وَلِيٌّ} الولي: من يتولى أمور الإنسان ومصالحه {نَصِيرٌ} النصير: المعين مأخوذ من قولهم نصره إذا أعانه {أَمْ} بمعنى بل وهي تفيد الانتقال من جملة إلى جملة كقوله تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افترَاه} [يونس: ٣٨] أي بل يقولون {يَتَّبَدَّلُ} يقال: بدَّل وتبدل واستبدل أي جعل شيئاً موضع آخر، وتبدل الكفر بالإيمان معناه أخذه بدل الإيمان **سَبَبُ النُّزُول:** روي أن اليهود قالوا: ألا تعجبون لأمر محمد؟ {يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، فما هذا القرآن إلا كلام محمد بقوله من تلقاء نفسه، يناقض بعضه بعضاً فنزلت {مَا نَنسَخُ مِنْ آيَةٍ} .

البلاغة:

- ١ - الإضافة في قوله {مَنْ رَبُّكُمْ} للتشريف. وفيها تذكير للعباد بتربيته لهم.
- ٢ - تصدير الجملتين بلفظ الجلالة {والله يَخْتَصُّ} {والله ذُو الْفَضْلِ} للإيدان بفخامة الأمر.
- ٣ - {أَلَمْ تَعْلَمْ} الاستفهام للتقرير والخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد أمته بدليل قوله تعالى {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ} .
- ٤ - وضع الاسم الجليل موضع الضمير {إِنَّ الله} {مَنْ دُونِ اللهِ} لتربية الروعة والمهابة في النفوس.
- ٥ - {ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} من إضافة الصفة للموصوف أي الطريق المستوي، وفي التعبير به نهاية التبكيت والتشنيع لمن ظهر له الحق فعدل عنه إلى الباطل.

الفوائد:

الأولى: خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} في ثمانية وثمانين موضعاً من القرآن، وهذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدال على الإقبال عليهم، ونداء المخاطبين باسم المؤمنين يذكرهم بأن الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقى أوامر الله ونواهيها بحسن الطاعة والامتثال.

الثانية: نهي المسلمون أن يقولوا في خطاب النبي عليه السلام {رَاعِنَا} وأمروا بأن يقولوا مكانها {انظرونا} وفي ذلك تنبيه لأدب جميل هو أن الإنسان يتجنب في مخاطبته الألفاظ التي توهم الجفاء أو التنقيص في مقام يقتضي إظهار المودة أو التعظيم.

الثالثة: كانت اليهود تستعمل كلمة {رَاعِنَا} يعنون بها المسبة والشتيمة وروى أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله: عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت هذه الآية {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظرونا} .